● اتحاد كتاب المغـرب / ملتقى الرواية العربيـة الجديدة

بتنظيم من اتحاد كتاب المغرب ، انعقد بمدينة فاس خلال الايام 21 / 24 ديسمبر 79 ، ملتقى للرواية العربية الجديدة ، استدعى له الاتحاد عددا من الروائيين والنقاد المغاربة والمشارقة . وقد حضر الى المغرب للمشاركة في هذا الملتقى كل من محمود أمين العالم ، صنع الله ابراهيم ، ادوار الخراط ، جمال الغيطاني ، سهيل ادريس ، عبد الرحمن منيف ، بطرس الحلاق ، عبد النبي حجازي ، غالب هلسا ، برهان غليون ، عبد الكريم قاسم ، طراد الكبيسي . كما شارك في هذا الملتقى من المغرب : محمد برادة ، عبد الكبير الخطيبي ، عبد الفتاح كيليطو، أحمد المديني ، محمد شكري ، عبد الكريم غلاب ، محمد عز الدين التازي ، مبارك ربيع ، سعيد علوش ، والطاهر بنجلون .

ورغم ان الملتقى كان مغلقا ، فقد ساهم في مناقشاته عدد من أعضاء الاتحاد ، وبعض اساتذة الجامعة ، والمهتمين .

كان الافتتاح صباح يوم الجمعة 21 ديسمبر ، بمدرج كلية الآداب ، حيث تجمع جمهور غفير من الطلاب والاساتذة للاستماع لكلمتي الافتتاح اللتين القاهما كل من الاستاذ محمد برادة، رئيس اتحاد كتاب المغرب ، والاستاذ محمود امين العالم . وقد جاءت كلمة الاستاذ برادة الافتتاحية كمحاولة للرصد التاريخي الاشكالي لمسار الرواية العربية ، وتوجيهاتها ، منذ مرحلة الانطلاق مع الموبلحي ومحفوظ وحنا مينه ويوسف ادريس وغائب طعمة فرمان ، وتنامي هذا المسار الى هزيمة يونيه 67 . « وفيما اختلفت التأويلات فان الرواية العربية الحديثة ، جاءت قريبة في اشكالها ومضامينها من الرواية الاوربية ، لان الفلسفات الاقتصادية والاجتماعية الموجهة للنهضة العربية تدور في فلك تلك الصورة العامة للمجتمعات الغربية رغم استحالة تحقيق نفس النتائج ، من ثم فان المثاقفة ، وبخاصة في تاريخ الاستعمار قد مهدت لقيام رؤيات استيتيقية وادبية تمتح من منابع متباينة تتقاطع فيها التصورات المثالية بالمفاهيم المادية الجدلية ، ولكن تبلور الادب لا يمكن ان يتم استنادا الى اختيار ارادي او انتقائي لانه جزء متفاعل مع البنيات العقلية والاقتصادية ومع اللغات الاجتماعية وتعدديتها ، وكل ذلك نتاج للتاريخ بابعاده المادية والنفسية ، وبمظاهره الملموسة ومساربه الخفية » . وقد استمرت كلمة الاستاذ برادة في تحديد التصور الاستتيقي والايديولوجي والاجتماعي الذي ظل يحكم النظرية الروائية .

أما الاستاذ محمود أمين العالم ، فقد جعل محور كلمته الافتتاحية هو « رواية الامة العربية وما تمتلىء به صفحاتها اليومية من محن وفواجع ونكسات » ، والرواية الادبية العربية ، كما ركز حديثه على علاقة هذه الرواية بالحقل الايديولوجي والنقد الادبي ، فهو يرى بخصوص هذه المسالة الاخيرة ، ان بعض الدراسات النقدية الجديدة ، تجنح « الى الشكلية الخالصة ، ولا اقول جنوحا الى الاهتمام والعناية بشكل التعبير ... مما يفصل العمل الادبي عن دلالته التاريخية والاجتماعية ، ويصبح به النقد الادبي مشرحة لجثث باردة » .

والملاحظ ان كلمتي الافتتاح ، قد حققتا خروجا عن الطابع البروتوكولي الترحيبي ، لتشكل مدخلا حقيقيا الى الملتقى .

واذا كنا لا نقصد من هذا العرض لاشغال الملتقى التتبع الدقيق والتغطية الكاملة ، لان

ذلك لا يمكن ان تقوم به الا المداخلات والمناقشات نفسها ، فما يهمنا هو التعرض للمحاور الاساسية التي طرحتها المداخلات ، حيث كان توزعها على الشكل التالي :

- تجارب ذاتية .
- دراسات تطبيقية لبعض النماذج الروائية .
- طروحات نظرية وتصورات نقدية لواقع الرواية العربية .

ففي لمحور الاول ، محور التجارب الذاتية ، تحدث كل من الدكتور سهيل ادريس وعبد الكريم غلاب ، عبد الحكيم قاسم ، ادوار الخراط ، محمد شكري ، صنع الله ابراهيم ، جمال الغيطاني ، عبد الرحمن منيف . ابرز الروائيون مفاهيمهم المختلفة للواقع الحياتي والاجتماعي، ولانساق التعبير التي يعتمدونها في الرواية او السيرة الذاتية . انطبعت بعض هذه المداخلات بالطابع الشخصي احيانا الا ان بعضها الآخر قد حاول تعميق منظوره لتجربته الذاتية ، عن طريق اعادة فهمها من الخارج ، وربطها بالمجال الروائي والمجال الاجتماعي .

تحدث عبد الكريم غلاب عن كفاحه الوطني وتجربته في زنازن الاستعمار ، وتجليات ذلك في اعماله الروائية ، كما ركز سهيل ادريس حديثه عن « الحي اللاتيني » كتجربة للسيرة الذاتية في القالب الروائي ، اما محمد شكري فقد اختار الحديث عن مفهومه للسيرة الذاتية الشطرية ، ومما جاء في مداخلة محمد شكري : « ان الكتابة الملائكية عن الانسان ، قد تسلي ولكنها لا تخدم ولا تغير . اننا لا نملك الحرية والخيار في الكتابة التطويرية لان بعض الانظمة العربية والرجعية مسكونة بمرض ازدواجية التفكير » . « ان ما كتبته في هذه السيرة الذاتية اعتبره وثيقة اجتماعية ، وليس ادبا عن مرحلة معينة بآثارها السيئة التي ما زالت تنخر مجتمعنا » . جاءت مداخلات كل من صنع الله ابراهيم ، جمال الغيطاني ، ادوار الخراط ، كمحاولة لاضاءة بعض جوانب ابداعاتهم الروائية ، وقد ربط بعض هذه المداخلات بين الروايات والمكتوب النقدي الذي تناولها من منظور قد يختلف عن تصورات الكاتب ومنطلقاته ، كالذي عبرت عنه مداخلة صنع الله ابراهيم في حديثه عن « نجمة اغسطس » ، ومداخلة جمال الغيطاني عند ما تحدث عن « وقائع حارة الزعفراني » ، وايضا عندما ركز على استلهامه للتاريخ المملوكي ، والمراجع التراثية ، في المجال الروائي ، محاولا وضع الحد الفاصل بين اعادة كتابة التاريخ ، ضمن الرواية ، وبين جعل هذا التاريخ ديناميا ومتحركا داخل الفضاء الروائي ، ليكتسبه دلالات جديدة . بينما توقفت مداخلة عبد الحكيم قاسم عند مفهومه للريف والمدينة ، وعلاقة ذلك باختيار المجال والشكل الروائيين . « اخترت دائما لغة سلفية ، تجنبت ذلك التوتر في اختيار الكلمة وتركيب الجملة ، وتطور الحدث واقدار الشخصيات والجو العام الذي يحيط بهم ، وكان العمق دائما في كتابتي غائر الصمت والافق موحشا محيقا » . اما ادوار الخراط « فقد احترز من ان يقع في اللبس بين الناقد والكاتب ، خصوصا وانه سوف يتحدث عن رواية واحدة طبعت في نسخ محدودة ، وهو يرى انه يتوجه نحو الرواية الشمولية « سعيا وراء ما يمكن ان يسمى بالحقيقة الكاملة ، لكي لا يصبح الجزء محورا اساسيا يطغى على الكل ، كما اعتبر نفسه يخوض في مغامرة ذاتية . ايضا طرح عبد الرحمن منيف تصوره لتجربته من خلال تصريحه بانه جاء الى العمل الروائي صدفة ، وهكذا تظل الرواية بالنسبة اليه اداة محاربة ، وقد كان غير مرتاح لما قرأ من روايات سياسية ، لان غيرها من الروايات كان اعلى قيمة فنية ، ومن هذا المنطلق ، حاول أن ينوع اساليب الكتابة من عمل روائي لآخر ، وهوا يتوقع ان ما سيكتبه هو الاهم في تجربته .

وقد اعقبت هذه التجارب - التي لم تقدم متجانسة ضمن برنامج الملتقى ، بسبب تأخر وصول بعض الروائيين - مناقشات حادة ساهمت في تعميق مفهوم التجربة ومحاكمتها من منظور يقترب من النقدية العلمية .

اما الدراسات التطبيقية ، فقد تركز بعضها على نماذج روائية معينة ، كما قام بعضها

الآخر ، بالتحليل النقدي لبعض اشكال الحكاية متمثلة في الف ليلة وليلة . جاء في مداخلة عبد الفتاح كيليطو (قواعد اللعبة السردية) ان القواعد تبقى قارة غير متغيرة ، بينما تتغير اللعبة، فقد « كانت هناك محاولات عديدة لابراز قواعد السرد من افلاطون الى هنري جيمس ، مرورا بالجرجاني وابن الخشاب و ديدرو » . وبعد ان اشار الى بعض هذه الدراسات الجذرية التي تعرضت للسرد ، ككتاب فلاديمير بروب « الحكاية الفلكلورية » او تلك التي قام بها كريماس ورولان بارث ، مع تنبيهه الى ان هذه الدراسات لم يكن لها صدى في العالم العربي ، خلص الى تحديد موقفه من الشكل الادبي كمستويات متعددة لا بد من مراعاتها اثناء العملية النقدية ، وقد تعرض الى نماذج من هذه الامكانيات ، كالتي تتعلق بالحقل السردي ، اذ ان الحكاية « كمجموعة من الاحداث (او الافعال السردية) التي تتوق الى نهاية ، اي انها موجهة الى غاية ما ، هذه الافعال السردية تنتظم في اطار (سلاسل) تكثر او تقل حسب طول او قصر الحكاية » . وتحدث عن الرباط الزمني الذي يربط بين الافعال السردية ، كما حدد ثلاثة من القواعد التي يمكن ان ترتكز عليها اللعبة ، وهي : 1) ارتباط السابق باللاحق . 2) نوع الحكاية . 3) افق الاحتمال والعرف . مع محاولة تطبيقية لهذه الثلاثية على حكاية الغواص والاحدب ... وما وقع بينهما ، كنص حكائي من الف ليلة وليلة .

تحدث عبد الكبير الخطيبي (عن الف ليلة والليلة الثالثة) انطلاقا من هذا المدخل : « احك حكاية والا قتلتك » كـ « مبدأ جوهري في سلسلة الف ليلة وليلة ، مبدأ القص باعتباره فتنة مطلقة » . وتحدث الخطيبي عن وحدة المتناقضات داخل الحقل السردي ، ووحدة جميع استحالات الزمن ، ففي الف ليلة وليلة ، تستمر السلسلة بين الدم و المني ، وتأتي الليلة البيضاء تتويجا لتضاعف الليل والنهار ، واختيار الجسد الذي لا ينام ، انها ديمومة بلا زمن ، وهي ايضا عنصر سردي ونظرية للحكاية « كانتتان متبادل بين الموت والحكي ، بين الليل والنهار » .

اما مداخلة بطرس الحلاق (نشأة الرواية العربية بين النقد والايديولوجيا) فقد انطلقت من مجموعة من الاسئلة حول علاقة الرواية العربية بالرواية الغربية ، وحدود التقليد والاقتباس والتأثر في مرحلة نشأتها ، اي وجوه النقد الروائي اقتبست ؟ علام يدل هذا الاختيار في بنية المجتمع الذي تتبناه ؟ وياخذ البحث رواية « زينب » كمرتكز لدراسة اشكالية اقتباس هذا النوع الادبي عن الغرب ، مع عدم تطويره ، وهو نفس مسار النقد الروائي .

تدخل عبد النبي حجازي حول (انماط رؤية العالم في رواية السبعينات) من خلال ثلاثة محاور في السياسة والدين والجنس ، « وفي مشاكلة السلطة والمجتمع يتكون نوعان من القمع هما القمع الداخلي الموروث دينا ، والقمع الخارجي الذي تمثله السلطة منصبة نفسها حامية للدين و المجتمع » . وبعد ان صنف رواية السبعينات في ثلاث اتجاهات : 1) ثوري . 2) محافظ ذي رؤيا مثالية مطلقة . 3) وجودي ، انتقل الى تطبيق الاتجاه الاول على ثلاث روايات هي « جرماتي » لنبيل سليمان ، « عرس بغل » للطاهر وطار . « الافعى والبحر » لمحمد زفزاف .

ايضا تدخل محمد برادة بدراسة تطبيقية (الرؤية للعالم في ثلاثة نماذج روائية : ثرثرة فوق النيل / الزمن الموحش / نجمة اغسطس) استهلها بتحديدات اولية طرح من خلالها مسالة المعايير الشكلية والمضمونية ، والحكم القيمي الذي يفاضل بين القديم والجديد ، واعتبر ان عمق المسالة يتعلق بالمنهجية التي يمتلكها الدارس او الناقد لتحديد الاشكالية وتحليل عناصرها قبل اصدار الاحكام . « ان الرؤية للعالم هو المصطلح الاجرائي الذي ساعتمده لمحاولة تحديد العلائق بين ثلاث روايات كتبت في فترة متميزة ، وبين الرؤيات للعالم المتواجدة في المجتمعات العربية خلال نفس الحقبة » . كما اشار الى انه لا يقصد باستخلاص الرؤيات الى العالم « اختزال الاعمال الروائية الى صيغ ومقولات ذهنية وفلسفية لاثبات التماثل القائم بين

مجتمع الرواية ومجتمع الحياة »... من هذه التحديدات وغيرها قدم محمد برادة دراسته التفصيلية للروايات الثلاث .

تمحورت مداخلة الاستاذ محمود امين العالم ، حول ثلاثة نماذج روائية ، هي « نجمة اغسطس » لصنع الله ابراهيم ، « وقائع حارة الزعفراني » لجمال الغيطاني ، « يحدث في مصر الآن » ليوسف القعيد ، وقد اوضح الاستاذ العالم أن ما يجمع هذه الروايات ، هو انها تتحدث عن تاريخ واحد محدد ، وانها تكاد تلتقي في اساليب التعبير الفنية ، ثم ان لها دلالات متقاربة.

قدمت بعض الدراسات للملتقى رؤى نقدية كانت تستعين بالاشارة الى الروايات العربية ، ولم تشكل تطبيقا استقرائيا وتجزيئيا لبنياتها الداخلية والخارجية ، بينما تركزت هذه الدراسات ، في بعضها ، على الحديث الخارجي عن النص الروائي ، كمسالة الالتزام التي طرحتها مداخلة الطاهر بنجلون ، وعلاقة الواقع العربي بالرواية ، كما قدمتها مداخلة برهان غليون ، وعلاقة النقد الادبي بالادب الروائي والهوية المربكة في مداخلة طراد الكبيسي .

عبر سعيد علوش عن طرح اشكالي لـ (الواقع والمتخيل والمحتمل في الرواية العربية) ، من خلال محاولة رصد مجموعة من الملابسات والتناقضات المفهومية ، كما رفض في البداية ان تكون مداخلته استعراضا تاريخيا ، ثم عبر عن اشكالية موضعة الابداع الروائي داخل الانتاج الثقافي السائد ، فقد اثارت رواية (الارض) لعبد الرحمن الشرقاوي خلال الستينات نقاشا حول « الواقعية الاشتراكية والالتزام كعلامات على طريق (عكس الواقع) مرة و (محاكاته) مرة اخرى » . وبقيت صورة الواقع ضبابية او وجودية او شبه وجودية واقعية ، لان احدا لم يفكر في رسم الحدود الفاصلة بين العالم الروائي بايهامه والعالم الخارجي بتسطيحه » . ثم يخلص الى ان الواقع قد بدا تاريخيا عند جرجي زيدان ، واجتماعيا عند محفوظ ، وسياسيا عند منيف، مع هذا فالاشكالية ليست في تصنيف واقع الاجيال ، ولكن في الكيفية التي عبرت عنها والادوات الموظفة والرؤى الحياتية المتطورة . تستمر حلقات المداخلة ، حول واقع الوعي الحضاري ، وواقع الوعي بالصراع الايديولوجي ، والمتخيل ، والبطل الاشكالي ، والاسلوب والاسلوبية .

أما طراد الكبيسي في مداخلته (مشروع رؤية نقدية عربية للرواية العربية) ، فقد انطلق من تصور خاص لعلاقة الابداع الروائي بالنقد ، يرى من خلاله ان هذه العلاقة ان لم تكن قبلية فهي موازية على الاقل ، اذ ان الرواية بالنسبة للادب العربي هي فن عربي ، وليست ملحمة البورجوازية الغربية . وهو يفترض ان يكون للرواية « منهجها الخاص النابع من طبيعة تجربة الروائي العربي الخاصة ، بدءا من اللغة الى معاناة التجربة اليومية ، بخصوصية التفكير واسلوب التفكير لهذا الكائن السوسيولوجي الذي يدعى المواطن العربي » ثم انتقل الى ما يسميه بعض الاوهام كاعتبار الرواية العربية قد طلعت من وسط اغترابي اوربي ، وهذا يفترض منهجا غربيا ، استعارة بعض المقولات أو المناهج الاوربية وتطبيقها على الروايات العربية ، المفارقات الساذجة بين عمل ابداعي اوربي وآخر عربي ... وقد حدد وضعا اشكاليا للاديب في العراق ، يتجلى في « شحة الرواية وارستقراطية الشعر » ، رغم اننا نجد جذور الرواية في العراق قديمة . وبعد تقصيه لمراحل هذه الرواية ، خلص الى الحديث عن رواية الحقبة ، والادب القومي .

جاءت مداخلة احمد المديني (ثلاثة ازمنة في زمن واحد) ، لتطرح بعض التاملات حول المجال النظري للرواية العربية ، من خلال الابتعاد عما يسميه بالرنازن النقدية الصدئة ، والاقتراب من قبول امكانات متجددة للحوار والبحث واستخدام اكثر المناهج تطورا ، وخصوصا تلك التي تعطي الاولوية للنص الابداعي وتستخدم في التعامل معه وساطات عدة ، وايضا من خلال تاكيده على الصوت الخاص والمتميز والمنفرد خارج كل التقسيمات النقدية القطعية ، ويقول انه يتكلم خارج نظرية الانساقيين التي تغني في تلافيفها العديد من المفاهيم والاحكام

الملقبة والمشوهة . ثم انتقل ليتحدث عن الزمن الروائي ورواية الاخبار والطرائف وروايـــة الخيبات والانوات المريضة والرواية الاشكالية ، وبعد ذلك تحدث عن روايته زمن بين الولادة والبحـكـم .

في بداية مداخلة برهان غليون (تاملات في الواقع العربي والرواية) ، عبر عما يطرحه الموضوع من استفهامات لا نهاية لها حول معنى الواقع ومعنى الرواية معا ، وتساءل عن نوعية هذا الواقع الذي تجب « رؤيته في الرواية او رؤية الرواية فيه » . « إن الرواية تبدو كاعادة بناء لتاريخية الواقع ، تعكس هي ذاتها حجة هذا الواقع الى مراجعة تاريخية ، الى مرآة ، ويمكن لهذه المرآة ان تكون مستقيمة ترد الصورة كما هي لواقع يبخل ذاته في حبة صعـوده وتماسكه ، او مقعرة تعيد تركيب هذا الواقع في اتجاه او آخر . هذا لا يعني ان الفرد هو موضوع الرواية ، ان موضوعها هو المجتمع ذاته ، ففي المجتمع يتحول الفرد الى شخص ، أي الى كون يترجم في صيرورته الكون الاجتماعي : القيم الثابتة والتاريخ المتغير معا » .

(المكان في الرواية العربية) ، هو عنوان مداخلة غالب هلسا ، حيث حدد ان ما يعنيه بالمكان هو المكان البسيط ، ذو الابعاد الثلاثة ، وهو يضطر لاسباب منهجية ان يعزله عـن الزمان والحركة لاسباب منهجية ، رغم استحالة عزله عنهما . وقد تحدث عن المكان في الرواية من خلال بعض النماذج والامثلة ، وعلاقة المكان بالذاكرة ، ثم انتقل الى مفهومه للمكان في روايتيه : الضحك ، الخماسين ، والى ما يسميه بالمكان المجازي في الرواية العربية ، فهو مكان سلبي ، يقع خارج نطاق التجربة الفنية ، لا يملك استقلاليته .

تحدث محمد عز الدين التازي في مداخلته (علائق البحث النظري والكتابـي في الروايـة المغربية) عن مجموعة من القضايا الاشكالية التي تطرحها الرواية المغربية ، من بينها استحالة الحديث عن تجارب تلتقي في رؤية مركزية تتحدد داخل قانون التوحد المعرفي ، ويطرح كمثال لذلك اختلاف مفهوم السرد الروائي من رواية لاخرى ، ثم يطرح تجاهل الرواية المغربية لتبني النماذج الاجتماعية القاعدية ، وارتباطها بالشخوص البورجوازية ، سواء في واقعها او رؤيتها للعالم ، ويناقش مفهوم الواقع ، كما تطرحه الرواية المغربية ، ليخلص الى انها قـد عبرت لحد الآن عن هاجس الكتابة ، ولم تنخرط في الوعي بالكتابة ، اي البحث الذي يصوغ علايقـه النظرية والكتابية من القناعات الموحدة ، ايديولوجيا ، وفنيا .

قدم مبارك ربيع مداخلته حول (الواقع والواقعية الروائية) ، وهو يرى أن الصدمة قد ولدت هذا الوعي الحاد عنده كاتجاه ، وهي ليست صدمة هزيمة آنية عسكرية أو حضارية ، بل صدمة الوعي بالطموح ومقتضيات التطور والتقدم المادية والمعنوية في تناقضها مع قيود التجمد والتبعية وعوامل الاعاقة والتطور . وعن الواقع وظاهرة التجاوز ، يرى مبارك ربيع « أن اهم مراحل الوعي وابسطه ايضا هي تلك المرحلة التي يصل فيها الانسان الى مرحلة التمييز بين ذاته من جهة وموضوعات العالم الخارجي من جهة ثانية . ثم يتحدث عن القدرات الابتكارية، والواقع الروائي ، والكتابة الموقف .

أما الطاهر بنجلون (دفاعا عن الذاتية المتمردة) ، فقد انطلق من تحديد الجواب عـن السؤال الذي يطرح الطرف الآخر في الكتابة ، فناقش مفهوم الكتابة للشعب ، من خلال معطيات الدول المتخلفة ، مبديا الحاحه على ان الذاتية ، تبقى دائما مسالة اساسية في العالم العربي ، كمشروع تاريخي للتعبير .

وقد اشرنا الى أن جميع هذه المداخلات ، قد اعقبتها مناقشات حادة ومستفيضة ، كانت مطبوعة بكثير من الجدية في الغالب ، كما أن جلسات الملتقى ، دامت في بعضها الى ما بعد منتصف الليل ، وقد اعقبت الملتقى لقاءات بين الروائيين والجمهور ، في بعض فروع اتحاد الكتـاب .

ع. لته